احـــــــراق مـــكـــتـــبـــــاب بـغـــــــداد

مثقفون يتحدثون عن كارثة الثقافة العراقية

مـــرة أخـــرى المـتـــنـــبـي شـهـيـــدا

جـمـــال كـــريم

للمقاهي الثقافية المتألقة وظاهرة المتنبي الثقافية في بغداد / شارع الرشيد، مظاهرها الخاصة، فهي جزء مهم من الحياة العراقية بشكل عام والبغدادية بوجه خاص، واولئك الذين اعتادوا التردد عليها كرسوا ساعات من اسابيعهم لها، هي ساعات تواصل اجتماعية وثقافية ومعرفية مع الاحبة والاصدقاء من الادباء والعلماء والمفكرين والفنانين ومحبي الآداب والفنون والمعارف، بل اصبحت هذه المقاهي وسوقها اشبه بالمعابد الروحية التي تمارس فيها ابهى طقوس العبادة المعرفية والحضارية، يأتي اولئك الرواد لكي يستبدلوا ساعات من العمر مقابل لقاءات فكرية وثقافية باحترام واعتزاز شديدين.

اللقاء بعد العاشرة

كانوا غالبا ما يلتقون بعد عاشرة الصباح من كل جمعة في الاسبوع قبل فرض حظر التجوال . يوم اللقاءات المنتظم. ثم يعودون الى بيوتاتهم المتفرقة، المتباعدة في حواري ومدن بغداد المترامية. وبين مقهى "البرلمان" الزائل ومدخل البورصة المعرفية والثقافية. شارع المتنبي اقل من مئتي متر. المتنبي" شارع ضجيجه جميل واليف، ولا يشبهه أي ضجيج اخر، كائناته هادئة وجميلة صامتة، كان يتوافد عليه عراقيون وعرب واجانب غرباء، يبحثون عن طائر المعرفة المحلق. دائما تتملى الشارع. انت في داخله الان. من جهتيه: الكتاب والكتاب وابنية تضم تاريخها الى واجهتها العتيقة الصامتة بقوة وحنين، حياة وتاريخ، حياة تشع من العيون والابنية والايماءات من الكتب واللوحات وكاميرات التصوير. تأتي مخلوقات البورصة الاسبوعية، فرادى وجماعات، تتجول متطلعة بعيون فاحصة، شائهة الى تلك العتبات النصية. اعني العناوين. متأرصفة بانتظام على جهتي الشارع تتجمع امام منتظمات رائعة من العتبات خلف واجهات زجاجية، نظيفة ولامعة، تتزاحم، منحنية فوق كتب الرصيف برؤوس متلاقية وجباه مضاءة وعيون باسمة وهي تصيخ السمع لصوت "نعيم الشطري" الصادح، ذلك الجنوبي الرائع، عراب بورصة المتنبي والذي غالبا ما يكون صوته اعلى من جلبة تلك المخلوقات، يعلو رنين صوته، معلنا، افتتاح مزاده الاسبوعي، مزاد للدوريات والمرجعيات والمصادر في مختلف انواع الاداب والفنون والعلوم!! عناوين مغرية باسعار اكثر اغراء. في ذاكرة شارع المتنبي رجلان ظريفان هما حسين محمود الفلفي واحمد كاظمية. كانا يعرضان مجموعة من الكتب المستعملة في المزاد العلني. تمتلىء المساحة الصغيرة قبالة مكتبته. مكتبة الشطري للمزاد العلني. بالمشترين والفضوليين المتطلعين اليه برؤوس مشرئبة انه احد المشاهد العجيبة والغريبة، مشهد يستحق بجدارة عناية الملاحظة والتأمل والتوثيق السردي. هنا ترى مجالسي الكتاب وندماءه المخلصين. خير جليس في الزمان.. يفارقون هذا النديم الجميل وهم مجبرون على تلك المفارقة، وبين أولئك نسبة كبيرة من الادباء والكتاب والفنانين، يفارقونه بيعا او مقايضة غير عادلة سدا لرمق الحياة فقد واجه مثقفو العراق وبقية الشرائح الاجتماعية الاخرى القهر والخوف والفاقة والعوز ابان النظام الشمولي السابق.

مقهى الشاهبندر ومعرضه

بعد كارثة الثقافة العراقية على صعيد الانسان والمطبوع والمكان، لن تجد نفسك، مستريحا بين احبتك من الادباء والمثقفين والفنانين في مقهى كان اسمه (مقهى الشاهبندر) والمحتفي بمعرضه الفوتوغرافي الدائم لمدينة بغداد ومدن عراقية اخرى كان معروضا من خلال جدران أكلتها نار الكراهية للحياة بكل أوجهها، المقهى أزالته مفخخات الدمار ولم يبق له أثر منظور سوى ما كان شاخصا في ذاكرة رواده ومحبيه. مكتبات تضم بين رفوفها نفائس الكتب والمجلدات والمخطوطات امحت بفعل الجريمة الفظيعة. اليوم، يشيع الحزن وتملأ الفجيعة شارع المتنبي المنفتح من نهايته على تقاطعات متعرجة، منحدرة من بداياتها، نحو نهر دجلة الذي تفصله عنها ابنية ومساجد تاريخية لها طعمها الجمالي الخاص، حزن وفجيعة، نهاية اليوم يلتجىء اليهما ليل شارع المتنبي الموحش.. "المدى " كانت على حطام كارثة لم يشهدها تأريخ العراق الحديث فتوجهت الى نخبة من الادباء والكتاب والفنانين لتستطلع آراءهم حول نكبة الثقافة العراقية بفاجعة المتنبي التي خطط لها صناع الموت والدمار وأعداء الحياة والجمال والفكر والحضارة والسلام.

الفريد سمعان :ما حصل لشارع المتنبي جرم لايمكن غفرانه

الامين العام لاتحاد الادباء والكتاب في العراق الشاعر الفريد سمعان بدأ الحديث بالقول :ابتداء أقول ان شارع المتنبي، شارع تنفست فيه الثقافة وتخرج في أزقته الضيقة مئات الادباء والمثقفين، واصطفت على رفوف مكتباته عشرات الالاف من الكتب والمصادر القديمة والحديثة، من القصص والروايات والحكايات وذكريات السياسيين والمثقفين الكبار، انني أراه بشكل غريب ومؤلم بعد الكارثة التي حلت فيه، لقد سعى ويسعى الاشرار لتحويل الوطن الى أنقاض ورماد وحرائق، ان المساس بكل أشيائنا الجميلة، ليستحق الاستنكار العنيف ولم الصفوف وشد الايادي للقضاء على كل ما يعكر صفو الحياة ويغتال المباهج وينال من الانسان، نحن نريد أن نعيش بسلام لنبني وطننا كي نسير مع ركب الحضارة، ثم لنضع قدما على طريق الحرية والكرامة والانسانية، ان ما حصل للمتنبي، جرم لايمكن غفرانه، بل انه أكبر جريمة ارتكبت في التأريخ، لاسيما وهي تستهدف أرفع الرموز الثقافية، أقول ان ما جرى من تمزيق للجثث وحرق للكتب، هو امتداد لاعتداء المستنصرية وقتل واغتيال طلبة العلم وأساتذتهم.

احمد المظفر: كارثة المتنبي لايمكن ان تنسى

الاعلامي احمد المظفر عبر عن سخطه وغضبه فيما جرى لشارع المتنبي قائلا: انه يوم ليس ككل الايام... انه يوم اغتيال الثقافة والكتاب العراقي.. انها مأساة تضاف الى ماساتنا اليومية، فها هو شارع المتنبي يقيم ماتما للمصادر والمراجع التأريخية والادبية، لقد فقدنا شارعنا الذي كنا نلتئم من خلاله، مستلقين على كنبات مقهى الشاهبندر الذي التهمته نار الجريمة هو الاخر.

كارثة المتنبي لايمكن أن تنسى، بل ستبقى في ذاكرتنا وذاكرة الاجيال القادمة، لقد احترق التأريخ و احترقت المكتبات وفقدنا أعزاءنا من باعة الكتب واصحاب أهم المكتبات... انه حزننا جميعا، ونحن نحترق يوميا... ولكن العزاء للمتنبي وشارع الرشيد ومقهى الشاهبندر ونعيم الشطري وكريم حنش وكل الاحبة الآخرين الذين فقدوا عدنان سلمان ومكتبته ومكتبات زملائه الاخرين، وقبلهم جميعا صديقنا محمد سلمان.

أتساءل بألم وحرقة، أية جريمة ارتكبت بحق الوجه الثقافي لعاصمتنا التي تموت كل يوم ؟

عزيز عبد الصاحب : القتلة يحرقون الكتاب ويقتلون النفس

المسرحي عزيز عبد الصاحب استنكر جريمة المتنبي بالقول : ها هي الجريمة تتكشف أكثر، أعني كراهية الكتاب، كراهية الثقافة التي بدات من سومر، من أولئك الذين كتبوا على الطين.

انهم القتلة، يحرقون الكتاب ويقتلون النفس التي كرمها الله، الانسان بنيان الله، ففي الحديث القدسي، ملعون من هدمه، ملعون من قتله أوأساء اليه.

انظر انهم.. يقتلون بلا هدف ولا حتى على الهوية، انهم يقتلون بشكل مجاني، انني أتساءل، هل يأتي الزمن الذي تتكشف فيه اسماء هؤلاء القتلة؟!.

عدسة الفنان مقداد عبد الرضا

انه ليحزنني التعبير عن بشاعة الجريمة، فماذا اقول عنها ؟

د. حسين علي هارف : المجد والحياة للكتاب والكلمة

المخرج والناقد المسرحي د.حسين علي هارف عبر عن فاجعة المتنبي مؤكدا: لان المثقفين والفنانين والادباء، دعاة حياة، انبرى لهم دعاة الموت،لينالوا من حبهم للحياة والجمال والخير والسلام، فكانت جريمة "شارع المتنبي" لتستهدف الكتاب ورواده وقراءه ومنتجيه وكتابه، وكانت الضحية مجموعة من الابرياء المدنيين من محبي ومقتني الكتاب مع مجموعة هائلة من الكتب المبشرة بالحياة والجمال والحب، من قصص ودراسات ومسرحيات وأشعار، تشيع الامل والسلام والاخاء. لقد دفع شارع المتنبي بتأريخه ورواده من الضحايا نصيبه، لكنه سيعود مرة اخرى على طريق السلام والحرية التي يتوق اليهما كل الناس المفتونين بالحياة والقيم النبيلة... فطوبى للفقراء والبسطاء والكتاب والمثقفين، والمجد والحياة للكتاب والكلمة وللمتنبي الشاعر والشارع.

جاسم بديوي :شارع المتنبي حوار وحداثة

الشاعر جاسم بديوي بدأ حديثه بالقول : لقد أثبت الارهابيون مرة أخرى انهم ليسوا ضد الحياة فحسب، بل ضد كل منابع الحياة ايضا، وسقطت كل نظريات وفرضيات وعمليات التجميل التي يحلو لبعض المهرجين اطلاقها على عصابات ومافيات القتل بداعي "المقاومة"، فمن سلب المدنيين أرواحهم الى قتل الطلبة والاساتذة والمعرفيين، وخطف الصحفيين وقتلهم، الى استهداف الرموز التاريخية والدينية، الى استهداف الثقافة بحد ذاتها... نعم شارع المتنبي ليس نظاما ثقافيا أحاديا او ايديولوجيا معينة، بل انه شارع حوار وحداثة، ليس بمعنى المرحلة، بل بمعنى الحيوية، انه حداثتنا التي يحاولون سرقتها منا، انه سرنا منذ فجر الكتابة وكلكامش.

ايناس البدران : محاولة لطمس الهوية الثقافية

أما الروائية والقاصة ايناس البدران فقد ابدت شجبها للجريمة قائلة : ان ما جرى لهذا الشارع الحبيب الى قلوب كل المثقفين العراقيين والعرب، لهو امتداد للهجمة الهمجية التي قام بها هولاكو ومغوله الظلاميون، من أجل استهداف بغداد، بغداد الحضارة والثقافة والعلم والتي ظلت لقرون طويلة، منارا ثقافيا وابداعيا، يشع نوره على كل العالم والحضارة الانسانية.

علي حداد : بأي شيء سيفتخر الهولاكيون الجدد؟!

فيما قال الروائي علي حداد :ما فعله ألأرهاب من تفجير للثقافة والفكر والأبداع في شارع المتنبي هو خير دليل على أن القتلة ... صناع الموت يريدون تحطيم الحياة .. ألأنسانية والثقافية والتعليمية.. وهذا ماحدث للجامعة المستنصرية وقبلها الجامعة التكنلوجية.. لقد سعى صناع الموت الى قتل الحياة وايقاف ايقاعها الانساني من خلال جرائمهم المتتالية.. فهم يريدون تعطيل الحياة.. وهذه هي رسالتهم التخريبية في شل حركة كل مفاصل الحياة الحيوية.. لكن المثقف والكاسب والطالب لا ينفك عن الاستمرار في العطاء والتحصيل والكسب والحفاظ على ديمومة الحياة ورفدها بدم جديد وكل يوم نجد مؤشرا على صناعة الحياة.

مهدي النجار : فخخوا سوق الحرية والحب والعقل

أما الباحث مهدي النجار فقد عبر عن شجبه واستنكاره لجريمة المتنبي بالقول: من حيث المبادىء والالتزامات الانسانية، فانه ليس ثمة صلة بين هؤلاء المتوحشين وما يزعمون بانهم ينتمون الى حركات دينية أو برامج انسانية، فالتوحش دفع بهم الى حرق أجمل ما يتبناه الانسان ويسعى الى تحقيقه، اعني بذلك، مجلدات المعرفة والثقافة، تلك المدونات التي اشتملت على اليمين واليسار واصطفت بوداعة بين رفوف وأجواف المكتبات وفوق الارصفة، تتحاور تلك المدونات لكي تصل بالانسان الى أعلى درجات المعرفة والرقي، ثم لتحرره من كل أشكال التخلف والاضطهادات، تقف صفا واحدا برغم اختلافاتها وتنوعاتها، لتحقق للانسان مزيدا من التقدم والحرية عبر ثقافة العقل والحوار.

من يدري سياتي هؤلاء المتوحشون ليفخخوا بورصة الحرية والحب والعقل، وبالتالي سيفجع المثقفون بهذه المأساة التاريخية، لقد فعلوها كما فعلوا بجرائم سابقة، بدافع الضغينة والحقد على كل ما تتدفق به شرايين الحياة من خير وحياة وسلام.

سيف الدين الجرام : الذين ارتكبوا جريمة المتنبي أحط من الحيوانات المفترسة

ويعبر القاص سيف الدين الجراح عن ذلك قائلا: يزخر تاريخ العالم بالجريمة والاجرام، الان وبعد أن توغل المجرمون في ارتكاب الكوارث، بل لقد أخذوا يستمرئون الدم البريء ويسفحونه لأتفه الاسباب ولدونما أي سبب، والا كيف نفسر حرق سوق المتنبي الثقافي، شارع العراق المميز، فضلا عن مئات الابرياء، وحرق مئات الالاف من الكتب والمؤلفات التي تضم بين طياتها الارث الفكري والثقافي الانساني.

الشاعر هادي الناصر: ماذا أقول لهذه الوحوش؟

الشاعر هادي الناصر عبر عن غضبه واستيائه بالقول : ماذاأقول لهذه الوحوش التي تستهدف الانسان العراقي بكل هذه القسوة والتفنن باستباحة الدم والنفس، كم شاهدة اذكر والدم العراقي المراق يصرخ في عنان السماء، لماذا ؟ نجمع أشلاء أحبتنا من الشهداء الذين تشظت أجسادهم واحترقت بين الكتب والمجلدات، لماذا يستهدف العلم ؟ لماذا يستهدف سوق الثقافة والمعرفة بهذه العدائية والجهالة والعنجهية ؟ فمن قتل الطلبة، الى تفجيرات باب المعظم الى المستنصرية وغيرها من تفجيرات ومفخخات الموت والدمار، الى سلسلة اغتيالات العقول العلمية الكبيرة، وصولا الى كارثة شارع المتنبي، التي نفذتها أيدي التكفير المجرمة التي تهدف الى ذبح الوطن، ولكن ليعلم كل المجرمين والقتلة بان كل قطرة دم تراق ، هي نبراس وقناديل مقدسة تضيء سماء الوطن، اننا عشاق الوطن نسعى الى ان نعيش على ثراه أحراراً، نصنع الجمال والحرية والسلام والجمال :

الله يا وطني
كم تريد منا
حتى تصدق
أننا نهواك ؟!

السينمائي كاظم مرشد : سنعيد لشارع المتنبي مكتباته وهيبته

وتساءل السينمائي كاظم مرشد عن أهداف جريمة المتنبي قائلا : أريد أن أسال، ما الذي سوف يقوله اولئك المثقفون المدافعون عن أفعال يسمونها " المقاومة" وهم يشاهدون حرائق مكتبات اعرق شارع ثقافي في الوطن العربي وخامس شارع من نوعه في العالم كما هو شائع، هل سيتجرأ احدهم ليبرر هذه الجريمة على احدى فضائيات الحقد والضغينة، هل سيقولون أن في بورصة المتنبي الثقافية ثمة ثكنة عسكرية أميركية؟!.

لقد فعلوا مجزرة المتنبي لان الثقافة العراقية الحقيقية أبت أن تنحني أمام كل مهيمنات العصر.

ستار الناصر: الامر لايعني مثقفي العراق وادباءه فقط

أما الموسيقي ستار الناصر فقد عبر عن المه وغضبه بفاجعة المتنبي بالقول :يبدو أن العد التنازلي لتحطيم صرح الثقافة العراقية، قد بدا بهذه الجريمة النكراء، فهذا هو شارع المتنبي، عزيز الذاكرة الجمعية للثقافة، قد أحرقوا تأريخه ومكتنزاته المعرفية والفكرية والثقافية واحرقوا رموزه من اصحاب المكتبات العريقة، وهاهو احد أهم المقاهي الثقافية " الشاهبندر" قد احالوا مقتنياته الاثرية الى رماد، لقد ارتكبوا جريمة بحق الثقافة ومكتباتها لاتغتفر.

خـــارج المـــدى

وقفة متأخرة في شارع الثقافة!

عـدنـان مـنـشـد

في منعطف قرب مدخل سوق السراي ونهاية شارع القشلة والفوهة الجنوبية من شارع المتنبي،وعلى مقربة من دار الندوة الاسبوعية في مقهى الشاهبندر، وقفت في مفترق طريق..هنا، حدثت الفاجعة الكبرى، يوم الخامس من آذار الجاري في الساعة الحادية عشرة والنصف تقريبا، من خلال ارهابي سقيم طوى رمز الاماني، وبواسطة سيارة مفخخة بعدة الموت والخراب، محا الاثار والبشر والكتب والاحبار والمطابع في بضع ثوان.

ويح غفلتي وبلاهتي !

ترى كم رددت مع نفسي بعد مرورنحو أربعة أعوام من ربيع الفردوس، قائلا : في وطن يتم فيه تقدير الاشياء بمدى الاستفادة منها وتقدير الرجال بحجم ثرواتهم أو مناصبهم، علينا التوقف أمام فكرة الثقافة التي لايبالي بها أحد.

أعرف أن في هذا القول تقريعا كثيرا وبكاء أكثر على ثقافتنا العراقية، فهو دعوة صارخة لاخذ حياتنا ماخذا جادا، ونعمل على ترميم واقعنا وتأريخنا وانساننا، اذا كنا قد عقدنا العزم على قبول التحدي ومواجهة الحقيقة المرة التي نجد صعوبة كبيرة في تحسسها والاعتراف بها، بعد ان ساهم رجالات الاحزاب وقادة الملل والطوائف وزعماء العشائر في انتاج الخراب بدلا من محاولة القضاء عليه. والآن، وقد بلغت الثقافة العراقية أجلها من خلال هذه الجريمة النكراء، علينا جميعا أن نقول بوضوح، اننا نشهد حالة فراغ فريدة من نوعها على الساحة الثقافية المحلية، لاتستطيع وزارة الثقافة العراقية ملأها، ولا اتحاد الادباء والكتاب في العراق التعويض عنها، فطالما اعترف المثقفون العراقيون، ان أية وزارة للثقافة في العالم، لاتصنع ثقافة وليس مطلوب منها أن تفعل ذلك، مثلما ان مهمة الاتحادات والروابط الثقافية ليست كذلك، وليست من مهامها أيضا توفير مقومات الابداع للكاتب أو المبدع ان لم تكن متوفرة فيه أصلا.

لقد كان الجواهري والتكرلي وحسب الشيخ جعفر والحصيري ورشدي العامل ومبدعون آخرون، سليلي شارع المتنبي ومكتبات شارعي الرشيد والسعدون، ولم نسمع يوما، انهم انتظروا من وزارة الثقافة أو اتحاد الادباء ما يعينهم على اطلاق منجزهم وابداعهم، بل لم نسمع ان واحداً منهم حمل المسؤولية لجهات رسمية أو غير رسمية في تقصيرها باحتضانهم أو رعايتهم، الا بمطالب مشروعة تتعلق بالاحتفاء بهم أو طبع و تسويق انتاجهم.

لقد كان شارع المتنبي –على وجه التحديد – قرة عين المثقف العراقي وغاية بهجته، فيه قلبه وصفاء روحه وسكينة نفسه، وكان ملاذا حميميا في توفير كامل احتياجاته، باعتباره يمثل شريحة اجتماعية متميزة عن غيرها في كل شيء ويجب التعامل معها وفق هذه النظرة من الامتيازات الخاصة.

الشارع مازال حتى هذه اللحظة، يعاني من ألسنة النار واعمدة الدخان وركام الجثث، فضلا عن صدى مجالس العزاءات المتفرقة في بغداد ومدن اخرى لضحاياه المتأخرين في مستشفيات.

فما هو الحل والمخرج والبديل ؟

انـي على جسدي بكيت

خـلـيـل الاســـدي

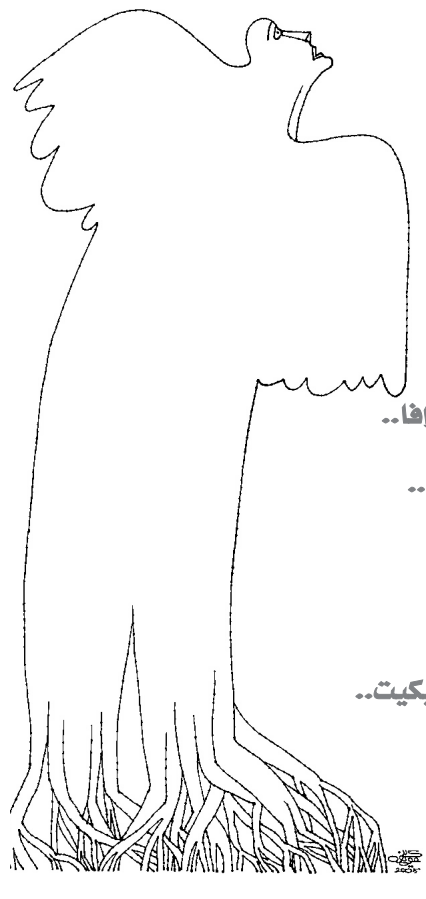

يا أيها المتنبيّ
ما كان النزيفُ..
سوى نزيفي..
هكذا أبدا يراق..
ويقتطف اقتطافا..
قالوا بكيت على فلان..
قلت إني لم أكن ابكي جزافا..
إني على وطني نزفت دما..
ما كنت أبكيه - فلانا- ..
أو فلان..
إني على جسدي العراق بكيت..
انتزف انتزافا..
مازال جرحي فاغرا فاها
ويرتشف ارتشافا..

شـــارع يـمـــشي بـــاتجـــاه الـنـــور

أحـمـــد المـظـفـــر

-١-

لاأريد أن أفتح عيني
فأراك حزينا
ككتاب مركون عند النافذة

ها أنا عند عتبتك
أقبل أوراقك المحترقة
أيها الشارع :
الذي يمشي،
باتجاه النور..
عيوننا ترصد سكناتك
هنا مشينا
هنا وقفنا
هنا تحلقت عيوننا
حول عناوينك
وتواريخك التي لم تكتب بعد..

-٢-

عند لحظة الموت
تناثرت روحي
وتلاشت ذاكرتي
فلم أعد افرق:
بين القاتل والمقتول..

-٣-

هنا كان الشارع
يغني..
عندها، فار التنور
فاحترق القلب
وتكفنت الاشلاء بالكتب..

-٤-

كنت أتمنى أن أكون شارعا
كي أموت دفاعا
عن المتنبي..
والآن القي نصوصي
أن تتحول الى معول
يمرغ أنوف الشظايا

-٥-

من بين الركام
مددت يدي
كي أبحث عن كتاب أو عنوان
فلم أجد سوى مكتبة
تلفظ انفاسها..
ويافطة محترقة..
لم يبق منها سوى

..... عدنان

٧ آذار ٢٠٠٧